مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

التفريق بين قول اللسان وعمله في تعريف ابن تيمية للإيمان ومسالك العلماء في توجيهه

د. ضاري عثمان الزهاميل

أستاذ مساعد بقسم العقيدة والدعوة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الكويت

مجلس
النشر العلمي



جامعة الكويت
KUWAIT UNIVERSITY

ISSN: 1029-8908

العدد ١٣٨ - السنة ٣٨

ربيع الأول ١٤٤٦ هـ - سبتمبر ٢٠٢٤م

البحث الخامس

التفريق بين قول اللسان وعمله في تعريف ابن تيمية للإيمان ومسالك العلماء في توجيهه

الدكتور / ضاري عثمان الزهاميل

أستاذ مساعد بقسم العقيدة والدعوة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية-جامعة الكويت

للاستشهاد:

الزهاميل، ضاري عثمان. (٢٠٢٤). التفريق بين قول اللسان وعمله في تعريف ابن تيمية للإيمان ومسالك العلماء في توجيهه . *مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية*، ٣٩ (١٣٨)، ١٥٥-١٨٨.

To cite:

Alzahameel, D. O. (2024). Distinguishing between the Tongue's Utterance and Action in Ibn Taymiyya's Definition of Faith and Scholars' Approaches to Addressing It. *Journal of Sharia and Islamic Studies, 39*(138), 155-188.

Doi:

التفريق بين قول اللسان وعمله في تعريف ابن تيمية للإيمان ومسالك العلماء في توجيهه

د . ضاري عثمان الزهاميل*

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/١١ تاريخ الإجازة: ٢٠٢٣/١٢

ملخص البحث

فكرة البحث الرئيسة تدور حول عبارة مشكلة لابن تيمية في العقيدة الواسطية حين عطف (عمل اللسان) على (قول اللسان) في تعريفه للإيمان. وتظهر **أهمية البحث** في أنه يعتبر أول دراسة مستقلة تطرقت لهذا الإشكال. **ومشكلة البحث**: تكمن في أن بعض الذين فرقوا بين قول اللسان وعمله من شراح العقيدة الواسطية قد يلتبس قولهم بأحد أقوال المرجئة من بعض الوجوه، لا كلها، **فيهدف البحث** إلى استجلاء المقصود من مصطلح (عمل اللسان) عند أهل السنة، وبيان مسالك العلماء في توجيه عبارة ابن تيمية المشكلة، والكشف عن المسلك الأقرب للصواب منها. **ومنهج البحث** الذي استخدمه الباحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي في اتجاهين؛ الأول: فيما يتعلق بالمقصود بإطلاق مصطلح (عمل اللسان) عند أهل السنة من خلال مدوناتهم التراثية، والثاني: مصنفات ابن تيمية للوصول إلى مقصوده بهذه العبارة. وقد أظهرت الدراسة **عدة نتائج توصل لها الباحث** منها: أن أهل السنة يطلقون على ما ينطق به اللسان، أنه: قول اللسان، وعمله، وفعله، فهي تسميات متعددة لمسمى واحد. وأن الذين يفرقون بين قول اللسان وعمله، لا دليل عندهم على هذا التفريق، ولم يسبقهم إليه أحد. وأن القول بأن عمل اللسان: حركته، قول مخالف

(*) ضاري عثمان الزهاميل: حاصل على الدكتوراه في أصول الدين ومقارنة الأديان من الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا عام ٢٠١٩. والماجستير من ذات الجامعة والتخصص عام ٢٠١٦. والبكالوريوس في العقيدة والدعوة من جامعة الكويت عام ٢٠١١. أستاذ مساعد بقسم العقيدة والدعوة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الكويت، منذ عام ٢٠١٩، له كتابان أحدهما طبع، والآخر تحت الطبع بعنوان: (شرح القواعد المثلى)، وشارك في كتابة مقرر: (عقيدة ١) في قسم العقيدة والدعوة بجامعة الكويت، له بحثان محكمان منشوران؛ أحدهما حصل على جائزة الملصق العلمي من جامعة الكويت، والآخر جائزة الملصق المتميز. عمل بعض الدورات العلمية في العقيدة.

الاهتمامات البحثية: العقيدة، والفرق الإسلامية، والمذاهب الفكرية المعاصرة، والإلحاد والباطنية الحديثة.

البريد الإلكتروني: dhari.alzahameel@ku.edu.kw

للصواب غير مسبوق بأحد من أهل السنة، بل مسبوق بالمرجئ: شَبَابَة بن سَوَّار، وقد حذّر من قوله الإمام أحمد. وأن الخلاف لفظي بين المفرقين بين قول اللسان وعمله، والنافين للتفريق طالما أن الجميع يدخلون عمل الجوارح في مسمى الإيمان. ولذلك **يرى الباحث** اعتماد شرح العبارة المشكلة بعدم التفريق بين قول اللسان وعمله، وألا يقال بأن عمل اللسان هي حركته، مع التأكيد على ركنية جنس عمل الجوارح.

الكلمات المفتاحية: عمل اللسان، الواسطية، ابن تيمية، حقيقة الإيمان.

Distinguishing between the Tongue's Utterance and Action in Ibn Taymiyya's Definition of Faith and Scholars' Approaches to Addressing It

Dr. Dhari Othman Alzahameel*

Submitted Date: 11/2023 **Accepted Date: 12/2023**

Abstract

The main research idea addresses a critical statement in Ibn Taymiyya's book "Al-Aqida Al-Wassitiya" when he added (the work of tongue) to (the utterance of tongue) in his definition of faith. **The Research Significance:** The first independent study to address this issue. The Research Problem: Some of those who distinguished between the utterance of the tongue and its work among the commentators of the book may have their statements mixed up with the statements of Murjites in some aspects. **The Research Objective:** to clarify what is meant by (the work of tongue) for the followers of Sunna, while tackling the scholars' approaches in addressing Ibn Taymiyya's statement. **The Research Approach:** The analytical inductive approach is adopted in two directions. The first: The meaning of (the work of tongue) to the people of Sunna through their heritage-based publications. The second: Ibn Taymiyya's works to reveal what he meant by this statement. **The research results** include: The people of Sunna call what the tongue pronounces as the utterance of tongue, its work, and its action; as they are all nomenclatures for the same

(*) Assistant Professor – Creed and Advocacy Department– Kuwait University
Email: dhari.alzahameel@ku.edu.kw

term. Those who differentiate between the utterance of tongue and its work have no evidence for such differentiation. Moreover, saying that the work of tongue means: its movement, is contrary to the truth. Therefore, **the researcher suggests** the adoption of the concerned statement interpretation by not differentiating between the utterance of the tongue and its work, and not to say that the tongue work is its movement.

Keywords: Work of Tongue, Al-Wassitiya, Ibn Taymiyya, Truth of Faith.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

لقد اعتنى أهل السنة والجماعة بمسألة الإيمان، وما يتفرع عنها؛ لأنها من أهم مسائل أصول الدين، وعليها تُبنى بقية الأبواب من الأسماء والأحكام، والولاء والبراء، ومسائل التكفير، ولأنها أيضا أول مسألة حصل فيها الخلاف، وتفرع عنها الافتراق، فكان لا بد من الاهتمام بها، والعناية بمسائلها عناية تامة، بل إن أهل السنة أطلقوا على علم العقيدة، اسم: (الإيمان)؛ لأنها أهم مسألة فيه، فكانت هي شعاره، ولأن هذا العلم -أيضا- يدور على أركان الإيمان وما يتفرع عنها.

ومن المتون الشهيرة والمقررة في كثير من المعاهد والجامعات الشرعية التي تعتني بعقيدة أهل السنة؛ متن: (العقيدة الواسطية) لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، وعليه العديد من الشروح المطبوعة منذ القرن الرابع عشر الهجري وما بعده.

وقد تحدث فيه ابن تيمية عن مسألة الإيمان، وعرّف فيه الإيمان بقوله: «ومن أصول أهل السنة: أن الدين والإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح»[(١)].

أهمية البحث:

ذكر ابن تيمية في تعريفه للإيمان مصطلحي: (قول اللسان)، (وعمل اللسان)، وعطف أحدهما على الآخر، وهذا في ظاهره أنه يفرق بينهما، وقد تنوعت مسالك العلماء في بيان مقصوده من هذا التفريق بين قول اللسان وعمله، وبعض الذين فرقوا بينهما من الشراح قد يلتبس قولهم بأحد أقوال المرجئة من بعض الوجوه؛ لا كلها، ولم يطَّلعْ الباحث على من توقف عند هذه المسألة وبيّنها في مصنف مستقل، وهنا تبرز أهمية البحث في أنه يعتبر أول دراسة مستقلة تطرقت لهذا الإشكال.

أسئلة البحث:

١ - ما المقصود بإطلاق مصطلح (عمل اللسان) عند أهل السنة؟

---

(١) أحمد ابن تيمية الحراني، مجموعة الفتاوى، تحقيق: عامر الجزار، وأنور الباز، (المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦/٢٠٠٥)، ط٣، ج: ٣، ص: ١٥١.

٢ - ما مسالك العلماء في توجيههم التفريق بين قول اللسان وعمله في تعريف ابن تيمية للإيمان؟

أهداف البحث:

١ - معرفة المقصود بإطلاق مصطلح (عمل اللسان) عند أهل السنة.

٢ - بيان مسالك العلماء في توجيههم التفريق بين قول اللسان وعمله في تعريف ابن تيمية للإيمان.

الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة عن الإيمان كثيرة، ولكن لم يقف الباحث على من قام بدراسة مسألة التفريق بين قول اللسان وعمله عند ابن تيمية في مصنف مستقل.

ما يضيفه البحث:

التوصل إلى مقصود أهل السنة بإطلاقهم مصطلح (عمل اللسان)، وتوضيح المسلك الأصوب في مسألة التفريق بين قول اللسان وعمله مما يساهم في حل عبارة ابن تيمية المشكلة في العقيدة الواسطية التي تعتبر منهجا دراسيا في العديد من الجامعات والمعاهد الشرعية.

منهج البحث:

يستخدم الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي للوقوف على مقصود أهل السنة بإطلاقهم مصطلح (عمل اللسان) في تعريفهم للإيمان من خلال مدوناتهم التراثية في الاعتقاد، وكذلك استقراء مصنفات ابن تيمية للوقوف على تعريفه للإيمان في مواضع متعددة، وهل يفرق دائما بين قول اللسان وعمله أم لا؟

خطة البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة كالتالي:

- المقدمة.
- المبحث الأول: بيان حقيقة الإيمان، والمقصود بإطلاق مصطلح (عمل اللسان)
- المبحث الثاني: تعريف ابن تيمية للإيمان، واتجاهات العلماء في التفريق بين قول اللسان وعمله
- خاتمة: تشمل أهم نتائج البحث.

المبحث الأول: بيان حقيقة الإيمان، والمقصود بإطلاق مصطلح (عمل اللسان)

بداية؛ ينبغي توضيح ما الإيمان عند أهل السنة، وكذلك معرفة مقصودهم بإطلاق مصطلح (عمل اللسان)، ثم الإشارة إلى قول شَبَابَة بن سَوَّار المرجئ في تعريفه للإيمان، وما ذكره عن (عمل اللسان)، حتى يمكن الوقوف على الفرق بين قوله وقول أهل السنة. ولذلك كان هذا المبحث في ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تعريف الإيمان عند أهل السنة[1]

أجمع أهل السنة على تعريف الإيمان بأنه: «قول وعمل يزيد وينقص، وبه الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وعليه مضى أهل الدين والفضل»[2]. ويقصدون أربعة أمور: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح[3].

---

(١) المقصود : الإطلاق الخاص لأهل السنة، وهم: أهل الحديث والأثر.

(٢) وهي عبارة الإمام ابن جرير الطبري كما ذكرها في اعتقاده المعروف بـ (صريح السنة). انظر: هبة الله اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، تحقيق: د. أحمد بن سعد الغامدي، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٥/ ١٩٩٤)، ط٣، ج: ١، ص: ٢٠٨.

(٣) انظر مثلا: عبد الله بن أحمد بن حنبل، كتاب السنة، تحقيق: د. محمد بن سعيد القحطاني، (الدمام: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٣١)، ط١، ج: ١، ص: ٣٠٩؛ عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين، المعروف بـ (الإبانة الصغرى)، تحقيق: عادل آل حمدان، (الإسكندرية: مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م)، ط٣، ص: ١٣٩ –١٤٠؛ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ج: ١، ص: ١٧٠، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٧، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٨، ج: ٤، ص: ٩١١ – ٩٣٣، ج: ٥، ص: ٩٥٥ – ٩٥٩؛ مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، ج: ٧، ص: ١٧١، ٦٧٢، ج: ١٣، ص: ٢٣٤؛ محمد ابن قيم الجوزية، كتاب الصلاة، تحقيق: عدنان بن صفاخان البخاري، (مكة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٣١)، ط: ١، ص: ٨٦؛ محمد ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تحقيق: إسماعيل بن غازي مرحبًا، (بيروت: دار ابن حزم، ودار عطاءات العلم، ١٤٤٠/ ٢٠١٩)، ط٤، ص: ٢٠٦؛ محمد ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين في منازل السائرين، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، وآخرين، (بيروت: دار ابن حزم، ودار عطاءات العلم، ١٤٤١/ ٢٠١٩)، ط: ٢، ج: ١، ص: ١٥٣.

وقد جاءت عباراتهم متنوعة في بيان ذلك المقصود، وإن كانت الحقيقة واحدة[(١)]، فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: أن الإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ) كان يقول: «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»[(٢)]، وقال الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤هـ): «وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر»[(٣)]، وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: «الإيمان قول وعمل واعتقاد بالقلب»[(٤)]، وقال الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ): «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»[(٥)]. ونقل الخلال عن تلاميذ الإمام أحمد أنهم جميعهم سمعوا ذلك منه[(٦)]. وغيرهم ممن لا يسع المقام لذكر أقوالهم[(٧)].

المطلب الثاني: المقصود بمصطلح (عمل اللسان) عند أهل السنة

من خلال الاطلاع على عدد من المدونات العقدية لأهل السنة[(٨)]؛ يتضح للباحث أنهم

(١) انظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، ج: ٧، ص: ١٧١، ٥٠٥ -٥٠٦.

(٢) يوسف ابن عبد البر الأندلسي، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤١٧/١٩٩٧)، ط١، ص: ٧١، ٧٣. وانظر: ص: ٦٩.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ج: ٥، ص: ٩٥٧.

(٤) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، ابن عبد البر، ص: ١٣٥.

(٥) كتاب السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل، ج: ١، ص: ٣٠٧.

(٦) أحمد بن محمد الخلال، السنة، تحقيق: د. عطية الزهراني، (الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع، ١٤١٥/١٩٩٤)، ط٢، ج: ٣، ص: ٥٨٢، رقم: ١٠١٠.

(٧) وقد خالف في هذه المسألة الإمام أبا حنيفة -رحمه الله- ومن تبعه كما هو معلوم. انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ج: ١، ص: ١٩٤-١٩٥؛ الإمام المزني، شرح السنة، تحقيق: د. جمال عزون، (الرياض: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ١٤٤٠)، ط٣، ص: ٨٣؛ حرب الكرماني، معتقد أهل السنة والجماعة، تحقيق: أ. د. سليمان الدبيخي، (الرياض: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ١٤٣٥)، ط١، ص: ٢٧ -٣٢؛ محمد بن الحسين الآجري، كتاب الشريعة، تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميجي، (الرياض: مدار الوطن للنشر، ١٤٣٢/٢٠١١)، ط٣، ج: ٣، ص: ٦١١؛ يوسف بن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله ﷺ، تحقيق: د. بشار عواد معروف، وآخرين، (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٣٩/٢٠١٧)، ط١، ج: ٦، ص: ٣٧٦؛ مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، ج: ٧، ص: ١١٩، ٣٣٠، ٥١٠، ٥٤٧، ٥٨٢.

(٨) كالسنة للخلال، والسنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل، والإيمان لأبي عبيد، والإيمان لابن منده، وغيرها كما سيأتي في ثنايا البحث.

أرادوا بيان أهمية العمل، وتوضيح أنه ركن في الإيمان، مناقضة لمن يقول: إن الإيمان ليس فيه عمل بالكلية[1]؛ فلذلك أطلقوا على الإيمان كله أنه: عمل.

وأيضا يطلقون على قول اللسان أنه: عمل اللسان، وفعل اللسان، وهم بذلك لا يفرقون بين قول اللسان وعمله أو فعله في هذا الإطلاق، بل عندهم أن هذه الإطلاقات شيء واحد.

وقد سمى الله -سبحانه- القولَ فعلًا في كتابه العزيز، حيث قال عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام: ١١٢]. فأطلق الفعل على: ﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ ﴾، فدلّ على أن قول اللسان: فعلٌ[2].

وممن وقف الباحث عليهم ممن ذكروا هذه الإطلاقات على سبيل المثال لا الحصر:

١ - الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ)، حيث قال: «وإنما أعطى الله كل جارحة عملا لم يُعطه الأخرى، فعمل القلب: اعتقاد، وعمل اللسان: القول، وعمل اليد: التناول، وعمل الرِّجل: المشي، وكلها يجمعها اسم العمل. فالإيمان على هذا التأويل إنما هو كله مبني على العمل من أوله إلى آخره، إلا أنه يتفاضل في الدرجات على ما وصفنا»[3].

فجعل الإيمان كله عملاً، وجعل قول اللسان ونطقه هو ذاته عمل اللسان، ففسره بذلك ولم يفرق بينهما، ولم يجعل عمل اللسان شيئًا آخر غير قول اللسان.

ثم أشار أبو عبيد إلى أن العرب تطلق على أفعال الجوارح أنها عمل، وذكر من

(١) ابن رجب الحنبلي، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: طارق بن عوض الله، (السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٣٠)، ط١، ج: ١، ص: ١٣٠.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن رجب، ج: ١، ص: ١٣٣؛ محمد الأمين الشنقيطي، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، (دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٦)، ط٢، ج: ١، ص: ٣٤٢، ج: ٢، ص: ٩٨، ج: ٥، ص: ٩٤.

(٣) القاسم بن سلام، الإيمان معالمه وسننه واستكمال درجاته، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١/ ٢٠٠٠)، ط١، ص: ٥٢ -٥٣.

الآيات ما يثبت أن القلب له عمل؛ فهو: مطمئن، ويَصغى، ويَوجَلُ[1]. وأيضا قول اللسان يسمى عملا، واستدل لذلك بالقرآن وكلام العرب؛ حيث قال: «وأما عمل اللسان، فقوله: ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾[النساء:١٠٨]، فذكر القول ثم سماه عملا. ثم قال: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [يونس:٤١]. هل كان عمل رسول الله ﷺ معهم إلا دعاءه إياهم إلى الله؟، وردهم عليه قوله بالتكذيب؟، وقد أسماها هاهنا عملا.

وقال في موضع ثالث: ﴿ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ إلى ﴿ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الصافات:٥١-٦١]. فهل يكون التصديق إلا بالقول وقد جعل صاحبها هاهنا عاملا؟! ثم قال: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾ [سبأ: ١٣]، فأكثر ما يعرف الناس من الشكر أنه الحمد والثناء باللسان، وإن كانت المكافأة قد تدعى شكرا.

فكل هذا الذي تأولنا إنما هو على ظاهر القرآن، وما وجدنا أهل العلم يتأولونه، والله أعلم بما أراد، إلا أن هذا هو المستفيض في كلام العرب غير المدفوع، فتسميتهم الكلام عملا، من ذلك أن يقال: لقد عمل فلان اليوم عملا كثيرا، إذا نطق بحق وأقام الشهادة، ونحو هذا.

وكذلك إن أسمع رجل صاحبه مكروها، قيل قد عمل به الفاقرة، وفعل به الأفاعيل، ونحوه من القول، فسموه عملا، وهو لم يزده على المنطق»[2].

فبيّن الإمام أبو عبيد أن أهل السنة يطلقون على (قول اللسان) مصطلح (عمل اللسان)، فهما إطلاقان اثنان؛ ولكن المعنى واحد، وليس عندهم فرق في هذا بين قول اللسان وعمله. وهذا مبني على أن ما ينطق به اللسان يسمونه عملا، وأن الإيمان كله عمل.

٢ - الإمام البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، حيث قال: «باب من قال: إن الإيمان هو العمل، لقول

(١) انظر: القاسم بن سلام، الإيمان، ص: ٥٣ -٥٤.

(٢) الإيمان، القاسم بن سلام، ص: ٥٤ – ٥٧.

الله -تعالى-: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الزخرف:٧٢]، وقال عدة من أهل العلم في قوله -تعالى-: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر:٩٢، ٩٣]، عن قول لا إله إلا الله. وقال: ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

حدثنا أحمد بن يونس، وموسى بن إسماعيل، قالا: حدثنا إبراهيم بن سعد، قال: حدثنا ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: (إيمان بالله ورسوله). قيل: ثم ماذا؟ قال: (الجهاد في سبيل الله)، قيل: ثم ماذا؟ قال: (حج مبرور)»[(١)].

فذكر أن الإيمان هو العمل، واستدل لذلك من الكتاب والسنة، وذكر أن العمل الذي سيُسْأَلُون عنه هو: قول (لا إله إلا الله)، فجعل النطق بالشهادتين عملا، أي: جعل قول اللسان عملا. قال ابن رجب: «والمقصود بهذا الباب: تقرير أن قول اللسانِ عملُه»[(٢)]، وقال أبو عبد الله محمد ابن قوام السنة الأصبهاني: «وحديث أبي هريرة دليل ظاهر، وعلمٌ مبينٌ على ما عُقد له الباب»[(٣)].

وقال ابن حجر: «فقوله ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ عام في الأعمال، وقد نقل جماعة من المفسرين أن قوله هنا: ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ معناه: تؤمنون، فيكون خاصا، وقوله: ﴿ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ خاص بعمل اللسان على ما نقل المؤلف، وقوله: ﴿ فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ عام أيضا، وقوله في الحديث: (إيمان بالله) في جواب: (أي العمل أفضل؟) دال على أن الاعتقاد والنطق من جملة الأعمال»[(٤)].

---

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت: دار المنهاج، ودار طوق النجاة، ١٤٢٩)، ط٢، ج: ١، ص: ١٤. كتاب: الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل، رقم الحديث: ٢٦.

(٢) فتح الباري، ابن رجب، ج: ١، ص: ١٣٠.

(٣) قوام السنة الأصبهاني إسماعيل بن محمد التيمي، شرح صحيح البخاري، تحقيق: د. عبد الرحيم العزاوي، (الكويت: أسفار لنشر نفيس الكتب والرسائل العلمية، ١٤٤٢/٢٠٢١)، ط١، ج: ٢، ص: ٨٧.

(٤) أحمد ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٧/٢٠٠٦)، ط١، ج: ١، ص: ٧٧. وقد أطلق الحافظ ابن حجر مصطلح (أعمال اللسان) على ما يتلفظ به اللسان من التوحيد والتلاوة والدعاء ونحوها. انظر: المصدر نفسه، ج: ١، ص: ٥٢.

٣ - الإمام ابن منده (ت: ٣٩٥هـ)، حيث قال أثناء تعليقه على حديث شعب الإيمان: «فجعل الإيمان شعبا، بعضها باللسان والشفتين، وبعضها بالقلب، وبعضها بسائر الجوارح. فشهادة أن لا إله إلا الله: فعل اللسان، تقول: شهدت أشهد شهادة. والشهادة فعله بالقلب واللسان لا اختلاف بين المسلمين في ذلك،..»(١). فجعل النطق بالشهادتين هو فعل اللسان. وقال أيضًا حين عدّد شعب الإيمان: «ومن أفعال اللسان: الإقرار بالله، وبما جاء من عنده، والشهادة لله بالتوحيد، ولرسوله بالرسالة، ولجميع الأنبياء والرسل، ثم التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل والثناء على الله، والصلاة على رسوله، والدعاء وسائر الذكر»(٢). فجعل سائر ما ينطق به اللسان هو من أفعال اللسان.

٤ - شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، حيث ذكر أن من أعمال اللسان المذمومة: الأذى باللسان، والسب للنبي ﷺ، فقال: «وهو أن السب وإن كان من أعمال اللسان؛ فقد دلت السنة بأنه بمنزلة الفساد والمحاربة بعمل الجوارح وأشد»(٣). وذكر في الموضع الآخر من أعمال اللسان المحمودة: الصلاة والسلام على النبي ﷺ، حيث قال: «ثم ذَكَرَ الصلاة عليه والتسليم خبرا وأمرا وذلك من أعمال اللسان»(٤).

٥ - ابن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، وقد صرّح بأن النطق بالشهادتين هو عمل اللسان، فجعل (قول اللسان) هو نفسه (عمل اللسان)، حيث قال في شرحه لحديث جبريل: «فأمَّا الإسلامُ، فقد فسَّره النَّبيُّ ﷺ بأعمالِ الجوارح الظَّاهرة مِنَ القولِ والعملِ، وأوّلُ ذلك: شهادةُ أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسولُ الله، وهو عملُ اللسانِ»(٥).

(١) محمد بن إسحاق ابن منده، كتاب الإيمان، تحقيق: د. علي بن محمد الفقيهي، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٦/١٩٨٥)، ط٢، ج: ١، ص: ٣٣٢.

(٢) الإيمان، ابن منده، ج: ١، ص: ٣٦٢.

(٣) أحمد ابن تيمية الحراني، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد الحلواني، ومحمد شودري، (الدمام: رمادي للنشر، الرياض: المؤمن للتوزيع، ١٤١٧/١٩٩٧)، ط١، ج: ٢، ص: ٧٦٥.

(٤) الصارم المسلول، ابن تيمية، ج: ١، ص: ١٥٤.

(٥) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤/٢٠٠٤)، ط٢، ج: ١، ص: ١٠١.

وفي شرحه للبخاري عند الباب السابق الذي مر معنا، قال ابن رجب: «وأما حديث أبي هريرة: فهو يدل على أن الإيمان بالله ورسوله عمل؛ لأنه جعله أفضل الأعمال. والإيمان بالله ورسوله، الظاهر: أنه إنما يراد به الشهادتان مع التصديق بهما. ولهذا ورد في حديث: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)(١)، وفي رواية(٢): ذكرَ الإيمان بالله ورسوله بدَلَ الشهادتين.

فدلّ على أن المراد بهما واحد؛ ولهذا عطف في حديث أبي هريرة على هذا الإيمانِ الجهادَ، ثم الحج، وهما مما يدخل في اسم الإيمان المطلق؛ لكن الإيمان بالله أخص من الإيمان المطلق، فالظاهر: أنه إنما يراد بهما الشهادتان مع التصديق بهما. فإذا سمى الشهادتين عملا، دل على أن قول اللسان عمل»(٣).

يتضح مما تم عرضه في هذا المطلب من أقوال أهل السنة؛ أنهم يطلقون على الإيمان كله أنه عمل، ويطلقون على ما ينطق به اللسان أنه عمل وفعل، سواء كان النطق بالشهادتين أو ما عدا ذلك من التلاوة والذكر والدعاء ونحوه، فيسمون قول اللسان: عمل اللسان وفعل اللسان.

وينبغي هنا التنبيه إلى أنه قد روي عن الإمام أحمد ما يدل على إنكاره دخول الأقوال تحت مسمى الأعمال، مشيرا إلى أن هذا لفظ كلام المرجئة، ولكن ابن رجب استدرك عليه ذلك، وذكر أن إنكار دخول الأقوال تحت مسمى الأعمال على إطلاقه لا يصح، ثم استدل لذلك مبينا أن الأقوال تدخل تحت مسمى الأعمال(٤).

فيمكن القول بأن الأصل هو التفريق بين الأقوال وبين (الأعمال أو الأفعال)، ولا بأس

---

(١) متفق عليه. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم، البخاري، ج: ١، ص: ١١، رقم الحديث: ٨؛ صحيح مسلم، كتاب، باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس، مسلم، ج: ١، ص: ٣٤، رقم الحديث: ١٦.

(٢) أخرجها البخاري تعليقا. انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: قوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾ [البقرة: ١٩٣]، ج: ٦، ص: ٢٦ -٢٧، رقم الحديث: ٤٥١٤.

(٣) فتح الباري، ابن رجب، ج: ١، ص: ١٣١ -١٣٢.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن رجب، ج: ١، ص: ١٣٢ - ١٣٣. وكلام الإمام أحمد لم يقف عليه الباحث -حسب اطلاعه- في المصادر التي نقلت أقوال الإمام أحمد إلا من خلال ما نقله ابن رجب عنه في هذا الموضع.

أحيانا بإطلاق (الأعمال أو الأفعال) على الأقوال؛ لأنه سائغ في لغة العرب، وقد جاءت به النصوص، ولكن يطلق ذلك على سبيل التجوز لا الغلبة؛ حذرا من أقوال المرجئة، وهو -كما يظهر- السبب الذي دفع الإمام أحمد لإنكار ذلك توجسا من تلاعب المرجئة بالألفاظ.

المطلب الثالث: المقصود بمصطلح (عمل اللسان) عند شَبَابَة بن سَوَّار المرجئ

لما كان أهل السنة لا يقبلون الإيمان بقول فقط دون العمل، ولا بعمل فقط دون القول، فلا بد من القول والعمل، -وهو تعريف الإيمان- خرج لهم من المرجئة منْ يريد التخلص من ركنية العمل بما أوحى إليه شيطانه من التلبيس والتدليس، فذكر أن الإيمان: قول وعمل، والقول: هو النطق بلا إله إلا الله، والعمل: هو حركة اللسان أثناء هذا النطق، فمن نطق بالشهادتين؛ فقد قال وعمل! وبذلك حقّق الإيمان.[١]. وقد بوّب الخلال في السنة بابا بعنوان: «ومن قول المرجئة: إن الإيمان قول باللسان وعمل الجارحة، قالوا: فإذا قال فقد عملت جوارحه، وهذا أخبث قول لهم»[٢].

وهذا القائل هو: شَبَابَة بن سَوَّار الفزاري (ت: ٢٠٦هـ)[٣]، فقد «قيل له: أليس الإيمان قولا وعملا؟ فقال: إذا قال، فقد عمل»[٤].

وأنكر الإمام أحمد قوله هذا، وذكر أنه من أخبث الأقوال؛ وذلك لأن فيه تدليسا وتحايلا

(١) انظر: فتح الباري، ابن رجب، ج: ١، ص: ١٣٢.

(٢) السنة، الخلال، ج: ١، ص: ٤٩٢ -٤٩٤.

(٣) هو شَبَابَة بن سَوَّار، أبو عمرو الفزاري، ويقال اسمه: مروان ولقبه شبابة. ولد في حدود عام (١٣٠هـ)، كان من كبار الأئمة إلا أنه مرجئ، وقد جاء أنه رجع عن الإرجاء. توفي سنة (٢٠٦هـ). انظر في ترجمته: أبو الحجاج يوسف المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٣/١٩٨٣)، ط٢، ج: ١٢، ص: ٣٤٣ -٣٤٩، رقم: ٢٦٨٤؛ محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرين، (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ١٤٢٩/٢٠٠٨)، ط٢، ج: ٩، ص: ٥١٣ -٥١٦؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٤/١٩٩٣)، ط١، ج: ٤، ص: ٣٠٠ -٣٠٢.

(٤) تهذيب الكمال، المزي، ج: ١٢، ص: ٣٤٧؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج: ٩، ص: ٥١٣ -٥١٤.

وتلاعبا بالألفاظ لإسقاط ركن العمل[١]. ولذلك لم يعد الإمام أحمد للكتابة عنه، وقال: «كان شَبَابَة يدعو إلى الإرجاء، وكتبنا عنه قبل أن نعلم أنه كان يقول هذه المقالة، كان يقول: (الإيمان قول وعمل، فإذا قال؛ فقد عمل بلسانه)، قول رديء»[٢]. وقال: «هذا قول خبيث ما سمعت أحدا يقول به ولا بلغني»[٣]. قال ابن رجب: «يعني: أنه بدعة، لم يقله أحد ممن سلف»[٤].

ولعل هذا هو السبب الذي دفع الإمام أحمد لإنكار دخول الأقوال تحت مسمى الأعمال، للبدعة التي ابتدعها شَبَابَة بن سَوَّار.

وهذه الآثار كلها تدل على أن من أخبث الأقوال: اعتبار حركة اللسان عملاً، وأنه بها يتحقق عمل الجوارح، وبها يُفَسَّرُ تعريف أهل السنة للإيمان من أنه: قول وعمل. ولم يُعرف أن أحدا قال بهذا قبل شَبَابَة.

وهل الإمام أحمد في إنكاره هذا ينكر أن تدخل الأقوال تحت مسمى الأعمال بإطلاق -كما يُفهم من الرواية المشار إليها في المطلب السابق-؟ أم أن مقصوده هو إنكار تفسير تعريف أهل السنة للإيمان بهذا القول الخبيث الذي يُسقط العمل؟، يختار ابن رجب الاحتمال الثاني، حيث قال: «لعل مراده إنكار تفسير قول أهل السنة: الإيمان قول وعمل بهذا التفسير؛ فإنه بدعة وفيه عي وتكرير؛ إذ العمل على هذا هو القولُ بعينه، ولا يكون مراده إنكارَ أن القول يسمى عملا»[٥].

---

(١) انظر: عبد الله بن سلمان الأحمدي، المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، (الرياض: دار طيبة، ١٤١٢/١٩٩١)، ط١، ج: ١، ص: ٧٢.

(٢) السنة، الخلال، ت: عادل آل حمدان، ج: ١، ص: ٤٩٣ -٤٩٤، رقم: ٩٦٥. وانظر: تهذيب الكمال، الحافظ المزي، ج: ١٢، ص: ٣٤٦؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج: ٩، ص: ٥١٦؛ تهذيب التهذيب، ابن حجر، ج: ٤، ص: ٣٠٢.

(٣) السنة، الخلال، ج: ٣، ص: ٥٧١ – ٥٧٢، رقم: ٩٨٢.

(٤) فتح الباري، ابن رجب، ج: ١، ص: ١٣٢.

(٥) المرجع السابق.

المبحث الثاني: تعريف ابن تيمية للإيمان، ومسالك العلماء في التفريق بين قول اللسان وعمله

يحاول الباحث استقراء وجمع أقوال ابن تيمية في تعريفه للإيمان، وما المواضع التي أشار فيها إلى التفريق بين قول اللسان وعمله؟ وكيف تفاعل العلماء معها؟ وذلك من خلال النظر في مسالكهم في توجيه هذا التفريق. ولذلك كان هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول: تعريف ابن تيمية للإيمان

من خلال الاستقراء؛ فإنه يتبين أن شيخ الإسلام ابن تيمية ذكر لفظ: (عمل اللسان)، وعطفه على لفظ: (قول اللسان)، وذلك في تعريفه للإيمان في العقيدة الواسطية، حيث قال: «ومن أصول أهل السنة: أن الدين والإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح»[(١)]، وكرّر ذلك في حكايته لمناظرة[(٢)] الواسطية أيضا، التي نُقلت بعدة صيغ؛ لأنه سئل عنها أكثر من مرة فأجاب وذكر الواقعة، وإحدى الصيغ كانت من نسخة بخط ابن تيمية نفسه يثبت فيها الموضع المشكل[(٣)].

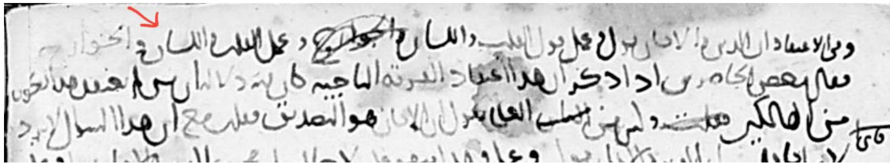
وظاهر هذا النص أنه يفرق بين قول اللسان وعمله، وهذا موضع مشكل حقيقة، ولذلك

---

(١) مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، ج: ٣، ص: ١٥١.

(٢) المناظرة لغة من: النظير، أو من النظر بالبصيرة. واصطلاحا هي: النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب. انظر: علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة: دار الريان للتراث، د.ت)، د.ط، ص: ٢٩٨.

(٣) نُقلت المناظرة بصيغ مختلفة، يثبت ابن تيمية في بعضها الموضع المشكل، وإحدى الصيغ -التي نقلت في جامع المسائل- كانت عن نسخة بخط ابن تيمية نفسه. وقد أفادني بصورة الموضع المشكل منها -بعد سؤاله- الأخ الفاضل: عبد الله السليمان آل غيهب، جزاه الله خيرا.



انظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، ج: ٣، ص: ١٧٧؛ أحمد ابن تيمية، جامع المسائل المجموعة الثامنة، تحقيق: محمد عزير شمس، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٣٢)، ط١، ص: ٥، ١٢، ١٨٥.

فقد سئل المفتي محمد بن إبراهيم عن لفظ: (عمل اللسان) في هذا الموضع، وكان السؤال كالتالي: «جاء في بعض طبعات الواسطية: (وعمل اللسان)؟ ج: هذا غلط، النسخ الأُخرى ليس فيها عمل اللسان. وسمعنا كلام ابن القيم وأردنا حملها عليه، ولكن لم يستقم لنا هذا؛ بل وجد في عبارات أُخَر ما ينافيها»[1]. ولم يقف الباحث -حسب اطلاعه- على موضع آخر لابن تيمية حين يتحدث عن تعريف الإيمان؛ يشير فيه إلى لفظ: (عمل اللسان)، وإنما يذكر: (قول اللسان) فقط. ومن أمثلة ذلك:

أ - قوله: «وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ومعنى ذلك أنه: قول القلب وعمل القلب، ثم قول اللسان وعمل الجوارح»[2].

ب - ثم قال بعدها: «ويتبع الاعتقاد: قول اللسان، ويتبع عمل القلب: الجوارح من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك»[3].

ج - قوله: «فإن اعتقاد القلب أصل لقول اللسان، وعمل القلب أصل لعمل الجوارح، والقلب هو ملك البدن»[4].

د - قوله: «من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح»[5].

(١) محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، (مكة المكرمة: مطبعة الحكومة، ١٣٩٩)، ط١، ج: ١، ص: ٢٤٥. وقد اطلع الباحث على بعض مخطوطات العقيدة الواسطية ولم يجد فيها حذف لفظ (عمل اللسان)، ومنها مصورة عن نسخة قُرئت على المؤلف سنة (٧١٥هـ) نشرها المحقق: علوي السقاف، بالإضافة إلى أن أحدا من محققي العقيدة الواسطية الذين وقفوا على العديد من مخطوطاتها لم يشيروا إلى ذلك، بل إن جميعهم أثبتوا هذا اللفظ: (قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح)، وكذلك الشراح أيضا، فلا يَعرف الباحث ما هي النسخة التي وقف عليها الشيخ ابن إبراهيم التي ليس فيها لفظ: (عمل اللسان). انظر مثلا: أحمد ابن تيمية، العقيدة الواسطية، تحقيق: علوي السقاف، (السعودية: مؤسسة الدرر السنية للنشر، ١٤٤٠/٢٠١٩)، ط: ٣، ص: ٢٧، ٨٣ -٨٤، ١٢٣؛ أحمد ابن تيمية، العقيدة الواسطية، تحقيق: د. دغش العجمي، (الكويت: مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، ١٤٣٥/٢٠١٤)، ط: ٣، ص: ٢٥، ١٠١.

(٢) مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، ج: ٧، ص: ٦٧٢.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق، ج: ١٣، ص: ٢٣٤.

(٥) المرجع السابق، ج: ٧، ص: ١٧١.

هـ - قوله: «ولهذا كان مذهب الصحابة وجماهير السلف من التابعين لهم بإحسان وعلماء المسلمين: أن الإيمان قولٌ وعمل؛ أي: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح»[١].

ففي هذه المواضع وغيرها[٢]، يكتفي ابن تيمية بلفظ: (قول اللسان) فقط. بل إن ابن تيمية نقل إنكار الإمام أحمد على شَبَابَة بن سَوَّار الذي سبق[٣].

ولمزيد من التأكد والتدقيق؛ نظر الباحث في أقوال تلميذه ابن القيم، الذي هو أعرف الناس بأقوال شيخه وتقريراته، فهو أيضا -حسب اطلاع الباحث- لم يشر إلى لفظ: (عمل اللسان) في تعريفه للإيمان، ومن أمثلة ذلك:

أ - قوله: إن «حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد. وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه. وعمل الجوارح...» ٤.

ب - قوله: «إن الإيمان قول وعمل، والقول: قول القلب واللسان، والعمل: عمل القلب والجوارح»[٥].

ج - قوله: «وبناء ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] على أربع[٦] قواعد: التحقق بما يحبه الله ويرضاه، من قول اللسان والقلب، وعمل القلب والجوارح»[٧].

فابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، يذكران دائما في حديثهما عن تعريف الإيمان، لفظ: (قول اللسان) فقط، ولا يذكران لفظ: (عمل اللسان)، إلا في العقيدة الواسطية ومناظرتها، ذكر ابن تيمية اللفظين، وعطف أحدهما على الآخر كما سبق.

---

(١) أحمد ابن تيمية، الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنّفه في آداب الطريق، تحقيق: علي العمران، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٩)، ط: ١، ص: ٢٠٨.

(٢) انظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، ج: ٢، ص: ٣٨٢، ج: ٧، ص: ٥٠٥.

(٣) انظر: المرجع السابق، ج: ٧، ص: ٢٥٥.

(٤) كتاب الصلاة، ابن القيم، ص: ٨٦.

(٥) ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص: ٢٠٦.

(٦) هكذا بتأنيث العدد.

(٧) مدارج السالكين، ابن القيم، ج: ١، ص: ١٥٣.

ولعل المعطيات السابقة تعتبر حجة مَنْ ينكر هذه العبارة المشكلة من الواسطية ويرى بأنها سبق قلم من شيخ الإسلام ابن تيمية؛ للأسباب التالية:

١ - إنه لم يذكر لفظ (عمل اللسان) في جميع المواضع الأخرى عند حديثه عن تعريف الإيمان، بل حتى تلميذه ابن القيم لم يذكر ذلك.

٢ - إن هذا الموضع استشكله العلامة محمد بن إبراهيم، وذكر أنه غير مذكور في النسخ الأخرى!.

٣ - إن ابن تيمية قد كتب العقيدة الواسطية إجابة لسائل من واسط في جلسة وهو قاعد بعد العصر، كما أنه قد تميز بسرعة الكتابة، والكتابة من حفظه[١].

فقد يُحتمل مع هذه الأسباب الثلاثة مجتمعة؛ أنه سبق قلم من ابن تيمية، ولكن تكرار هذا الموضع المشكل في مناظرة ابن تيمية، وبخطه أيضا، وكذلك النسخة الخطية التي قُرِئت على المؤلف[٢]، كل ذلك يجعل هذا الاحتمال بعيدا، والله أعلم.

فما المقصود بهذا العطف؟ وهل يقصد ابن تيمية حقيقته من التفريق بين قول اللسان وعمله أم لا؟ وكيف وجّه العلماء هذا الموضع المشكل؟ هذا ما يحاول الباحث الوصول إليه في المطلب التالي.

المطلب الثاني: مسالك العلماء في التفريق بين قول اللسان وعمله

بالنظر إلى تفاعل شراح العقيدة الواسطية مع الموضع المشكل من تعريف الإيمان عند ابن تيمية، فإنه يمكن تقسيم مسالكهم إلى مسلكين رئيسين، وتحت كل مسلك قسمان، كالتالي:

المسلك الأول: مسلك التجاوز

فقد سلك عدد من شراح العقيدة الواسطية مسلك التجاوز، فتجاوزوا هذا الموضع

(١) انظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، ج: ٣، ص: ١٦٤، ١٩٤، ٢٠٣-٢٠٤؛ جامع المسائل المجموعة الثامنة، ابن تيمية، ص: ١٨٥؛ محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي، العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: علي العمران، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٣٢)، ط١، ص: ١٠٨، ٢٦٨.

(٢) العقيدة الواسطية، ت: علوي السقاف، ابن تيمية، ص: ٢٧، ٨٣ -٨٤.

المشكل؛ إما بعدم التطرق له، أو بتوضيح المقصود بـ (قول اللسان)، والإعراض عن توضيح المقصود بـ (عمل اللسان)، فكانوا على قسمين:

القسم الأول: من تجاوز هذا الموضع المشكل ولم يتحدثوا عن هذا الإشكال، ومن هؤلاء: الشيخ السعدي في تنبيهاته؛ حيث نبّه على الفرق بين قول القلب وعمله، وأعرض عن ذكر الفرق بين قول اللسان وعمله، وتبعه في ذلك الشيخ صالح الفوزان(١). وممن سلكه أيضا؛ الشيخ زيد الفياض، فقد تجاوز هذا الموضع دون أن يشير إلى مسألة عمل اللسان(٢). وكذلك غيرهم من أصحاب الشروحات والتعليقات على الواسطية؛ مثل: ابن باز، وفيصل آل مبارك، ومحمد خليل هراس، وابن مانع في حاشيته، وعبد الرحمن الجطيلي، ومحمد الروق الشمري(٣).

القسم الثاني: تحدثوا عن قول اللسان، وأغفلوا الحديث عن (عمل اللسان)، فقالوا بأن (قول اللسان): هو النطق بالشهادتين وكذلك التلاوة والذكر والدعاء والأمر بالمعروف

---

(١) انظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة، تحقيق: محمد بن سليمان البسام، (الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٣١)، ط: ١، ص: ٩٦-٩٧؛ صالح بن فوزان الفوزان، شرح العقيدة الواسطية، (الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي، ١٤٢٤/٢٠٠٣)، ط: ٣، ص: ١٧٦.

(٢) انظر: زيد بن عبد العزيز الفياض، الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، (الرياض: دار الألوكة للنشر، ١٤٣٧)، ط: ٥، ص: ٤٧٨-٤٨٠.

(٣) انظر: الشرح الصوتي للشيخ ابن باز على: العقيدة الواسطية، (المجلس الثالث)؛ فيصل آل مبارك، التعليقات السنية على العقيدة الواسطية، تحقيق: عبد الإله بن عثمان الشايع، (الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤٢٧/ ٢٠٠٦)، ط: ١، ص: ١١٧؛ محمد خليل هراس، شرح العقيدة الواسطية، تحقيق: علوي السقاف، (الظهران: الدرر السنية، ١٤٢٩/٢٠٠٨)، ط: ٦، ص: ٢٦٣-٢٦٧؛ محمد بن مانع، حاشية العلامة ابن مانع على العقيدة الواسطية، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، (دون دار نشر، د.ت) د.ط، ص: ٢٣-٢٤؛ عبد الرحمن الجطيلي، الأجوبة المفيدة على أسئلة العقيدة، ص: ١٢٧، ضمن: عبد الرحمن بن حمد بن محمد الجطيلي، مجموعة الشيخ عبد الرحمن الجطيلي العلمية، تحقيق: نواف بن سعد الرعوجي، (المدينة النبوية: دار العقيدة للنشر والتوزيع، ١٤٣٦)، ط: ١، ج: ٣؛ محمد بن علي بن سليمان الروق، الأسئلة النجدية على العقيدة الواسطية، تحقيق: سليمان بن عجلان بن إبراهيم العجلان، (الرياض: دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠/١٩٩٩)، ط: ١، ص: ٨٨، ١٠٦. وممن سلك هذا المسلك أيضا: الشيخ يوسف الغفيص في شرحه الصوتي على العقيدة الواسطية.

والنهي عن المنكر ونحوها. فجعلوا ما ينطق به اللسان هو قوله، دون أن يشيروا إلى لفظ: (عمل اللسان). وممن نحا هذا النحو: عبد العزيز الرشيد، وعبد العزيز الراجحي[١].

مناقشة أصحاب المسلك الأول: أصحاب القسم الأول قد تجاوزوا الموضع المشكل، فلم يصرحوا برأي حتى تمكن مناقشته. أما أصحاب القسم الثاني -فيما يظهر للباحث- فهم الأقرب للصواب، كما سيتبين لاحقا.

المسلك الثاني: مسلك التفريق بين قول اللسان وعمله

وهؤلاء الذين سلكوا هذا المسلك اتفقوا على التفريق بين قول اللسان وعمله، ولكن اختلفوا فيما هو الفارق بينهما، فكانوا على قسمين:

القسم الأول: قالوا بأن (قول اللسان): هو النطق بالشهادتين. (وعمل اللسان): هو ما عدا ذلك مما لا يُؤدى إلا باللسان، كالتلاوة والذكر والتسبيح والتهليل والتحميد والدعاء وسائر الأذكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونحو ذلك.

وممن قال بهذا على تقارب في عباراتهم: محمد بن إبراهيم آل الشيخ في تقريراته على الواسطية[٢]، وعبد العزيز السلمان في أعماله الثلاثة الموسعة على الواسطية: (الكواشف الجلية، والأسئلة والأجوبة، ومختصر الأسئلة والأجوبة)، وعلي مصطفى الغرابي، وعبد الرحمن البراك، وعبد الرزاق البدر[٣]. وكذلك صالح آل الشيخ الذي قرر أن (قول

---

(١) انظر: عبد العزيز بن ناصر الرشيد، التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، (الرياض: دار الرشيد، ١٤٢٦/٢٠٠٥)، ط: ٥، ص: ٢٦٢؛ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، شرح العقيدة الواسطية، (الرياض: دار التوحيد للنشر، ١٤٣٤)، ط: ١، ص: ١٣٦.

(٢) بالرغم من استنكاره لهذا الموضع المشكل، وذكره أنه لا يستقيم، كما سبق. انظر: مجموع الفتاوى، ابن إبراهيم، ج: ١، ص: ٢٤٥.

(٣) انظر: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، شرح العقيدة الواسطية من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم، تحقيق: د. عبد المحسن بن محمد ابن قاسم، (دون دار نشر، ١٤٢٨)، ط: ٢، ص: ١٨٤-١٨٥؛ عبد العزيز المحمد السلمان، الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، (دون دار نشر، ١٣٩٩/١٩٧٩)، ط: ٨، ص: ٢٨٢-٢٨٤، عبد العزيز المحمد السلمان، مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، (دون دار نشر، ١٤١٨/١٩٩٧)، ط: ١٢، ص: ١٢٦-١٢٧، عبد العزيز المحمد السلمان، الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، (دون دار نشر، ١٤٠٢/١٩٨٢)، ط: ١١، ص: ٦٤٩-٦٥٠؛ علي مصطفى الغرابي، المنحة الإلهية في شرح العقيدة الواسطية، تحقيق: =

اللسان): هو تكلمه بالشهادتين، (وعمل اللسان): «هو ما يجب أن يتكلم به المرء في عباداته بلسانه مثل: الفاتحة، والأذكار الواجبة إلى غير ذلك مما يجب»[1]، وزاده توضيحا فقال: «وعمل اللسان الواجب يعني: ما كان امتثاله من الأوامر راجعا إلى اللسان؛ كمن أُمر بأن يقول كذا في الصلاة، فقوله لتلك الأشياء في الصلاة هذا من عمل اللسان الواجب، أو أُمر أن يقول كذا حين يُهل بالحج، فهذا من عمل اللسان الواجب»[2].

فهو يقرر أن عمل اللسان الذي هو من أركان الإيمان: هو تحديد الأمور الواجبة مما لا يؤدى إلا باللسان، ويُفهم من ذلك أنه لا يُدخل فيه الأمور المندوبة من بقية الأذكار والتلاوة، ونحو ذلك مما هو ليس بواجب. فالأمور الواجبة من أعمال اللسان هي الحد الأدنى المطلوب، والأمور المندوبة من أعمال اللسان؛ هي من باب الكمال لا الأصل الواجب. وقد قاربه في هذا -وإن لم يوافقه تماما- إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن [3].

القسم الثاني: من رأى بأن (قول اللسان): هو النطق بالشهادتين، وكذلك التلاوة والذكر والدعاء. وأن (عمل اللسان): هو حركة اللسان التي تنتج عنها التلاوة والذكر والنطق بالشهادتين.

= سعد بن شايم الحضيري، (مصر: مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع، ١٤٣٤/٢٠١٣)، ط: ١، ص: ٢٥٠-٢٥٢؛ عبد الرحمن بن ناصر البراك، توضيح مقاصد العقيدة الواسطية، تحقيق: عبد الرحمن بن صالح السديس، (الرياض: دار التدمرية، ١٤٣١/ ٢٠١٠)، ط: ٢، ص: ٢٠٤-٢٠٥؛ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، (الرياض: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٢٧/٢٠٠٦)، ط: ٢، ص: ٣٧-٤٠. وقال بهذا الفرق أيضا: محمد بن خليفة التميمي في شرحه الصوتي على العقيدة الواسطية. وأيضا الشيخ حافظ الحكمي، وإن لم يشرح أو يعلق على الواسطية؛ إلا أنه ذكر أن العمل هو عمل القلب واللسان والجوارح، ثم فسر عمل اللسان بما فسره أصحاب هذا القسم. انظر: حافظ بن أحمد الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: محمد صبحي حلاق، (الدمام: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٤)، ط: ٢، ج: ٢، ص: ٧٣٥-٧٣٩.

(١) صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية، تحقيق: عادل بن محمد مرسي رفاعي، (الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤٣٠/٢٠٠٩)، ط: ١، ج: ٢، ص: ٣٧١.

(٢) المرجع السابق، ج: ٢، ص: ٣٧٧.

(٣) انظر: إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن، الأعلام المرفوعة والتحف المدفوعة وعقيدة أمة الإسلام المقروءة المسموعة، (دون دار نشر، د.ت)، د.ط، ج: ٢، ص: ٣٠-٣١.

وهذا اختيار ابن عثيمين حيث قال: «أما (قول اللسان) فالأمر فيه واضح، وهو النطق، وأما (عمله) فحركاته، وليست هي النطق، بل النطق ناشئ عنها إن سلمت من الخرس»[1].

فكون قول اللسان ينتج بقدرة الله عن حركة اللسان فهذا لا خلاف فيه، ولكن جَعْل ذلك هو المقصود بالاصطلاح هو المشكل حقيقة؛ وذلك لما فيه من مشابهة قول المرجئة من بعض الوجوه لا كلها، وتحديدا قول شَبَابَة بن سَوَّار الذي حذر منه الإمام أحمد بن حنبل وترك الرواية عنه.

مناقشة أصحاب المسلك الثاني: إن أصحاب هذا المسلك بقسميه لم يذكروا دليلا على توجيههم لهذا التفريق بين قول اللسان وعمله؛ ولم يقف الباحث -حسب اطلاعه- على دليل يدعم قولهم، بل إن الشهادتين والأذكار والتلاوة ونحوها، جميعها محلها اللسان، فلا وجه لهذا التفريق فيما يظهر[2].

وليس هذا التفريق من باب المصطلحات التي اتُّفق عليها؛ لأنه لم يسبقهم أحد بهذا التفريق والاصطلاح، حيث إن من سبقهم لا يفرق بين قول اللسان وعمله، بل إن ابن تيمية نفسه قد ورد عنه أنه أطلق على ما ينطق به اللسان: (أعمال اللسان)، فهو أيضا لم يفرق بين قول اللسان وعمله سوى ما ذكره في العقيدة الواسطية، وليس هذا التفريق من عادته وأسلوبه في المواضع الأخرى.

وقد جاء عن الإمام أحمد أنه فسّر قول اللسان بالتسبيح والتهليل والتحميد؛ قال الخلال: «أخبرني محمد بن أبي هارون، أن إسحاق حدثهم، أن أبا عبد الله سئل عن الرجل يقول: الإيمان قول، فقال أبو عبد الله: إذا جاء بالقول، نقول: فالقول: سبحان الله، ولا إله إلا الله، وإنما تنقص الأعمال وتزيد، من أساء نقص من إيمانه، ومن أحسن زيد في إيمانه»[3].

---

(١) محمد بن صالح العثيمين، شرح العقيدة الواسطية، تحقيق: سعد بن فواز الصميل، (السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢١)، ط: ٦، ج: ٢، ص: ٢٣٠.

(٢) انظر: محمد بن بسيس السفياني، قواعد الأسماء والأحكام عند شيخ الإسلام ابن تيمية، (جدة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ١٤٣٥/ ٢٠١٤)، ط: ١، ص: ١٤٥-١٤٦.

(٣) السنة، الخلال، ج: ١، ص: ٥٦٥، رقم: ٩٥٧.

وفي مسائل ابن هانئ: «وسئل عن الرجل يقول: الإيمان قول وعمل؟ قال: إذا جاء بالقول فالقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، وإنما تنقص الأعمال وتزيد، من أساء نقص من إيمانه، ومن أحسن زاد في إيمانه»(١).

وهذا يعني أن الإمام أحمد لم يعتبر القول هو النطق بالشهادتين فقط، بل أدخل معهما ما ينطق به اللسان من الذكر والتسبيح، أو بعبارة أخرى: (ما لا يؤدى إلا به).

ويُفهم من هذا أن قول اللسان عند الإمام أحمد يشمل: النطق بالشهادتين والأذكار والدعاء ونحوها، وبالتالي فهو لا يفرق هنا -فيما يظهر- بين قول اللسان وعمله.

وابن القيم جعل كل الطاعات القولية من قول اللسان، ولم يفرق بينها، حيث قال: «وقول اللسان: الإخبار عنه بذلك، والدعوة إليه، والذب عنه، وتبيين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره، وتبليغ أوامره»(٢).

ويُحتمل أن اضطرار أصحاب هذا المسلك للتفريق بين قول اللسان وعمله حصل بسبب هذا الموضع المشكل من العقيدة الواسطية بحثا منهم عن مخرج لحل الإشكال، فلذلك قالوا بهذا التوجيه للتفريق، والله أعلم.

أما بالنسبة للقسم الثاني من هذا المسلك، وهو رأي ابن عثيمين، فحتى يتبين ويتميز وجه الاتفاق والافتراق بين قوله وقول شَبَابَة بن سَوَّار، فإن ابن عثيمين نص في شرحه للواسطية على أن الإيمان يشمل: قول القلب، وعمله، وقول اللسان، وعمله، وعمل الجوارح(٣)، وقال أيضا عند حديثه عن قول أهل السنة في الإيمان: «الإيمان حقيقته عند أهل السنة والجماعة هي: اعتقاد القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح»(٤).

فهو يُدخل -بلا شك- عمل الجوارح في الإيمان؛ بالإضافة إلى قول اللسان وعمله، كما

---

(١) إسحاق بن إبراهيم بن هانئ النيسابوري، مسائل الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: زهير الشاويش، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠)، ط: ١، ج: ٢، ص: ١٦٤، رقم: ١٩٠٦.

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، ج: ١، ص: ١٥٣.

(٣) ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية، ج: ٢، ص: ٢٣٠ -٢٣١.

(٤) محمد بن صالح العثيمين، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: فهد بن ناصر السليمان، (الرياض: دار الوطن، ١٤١٣)، ط: الأخيرة، ج: ٥، ص: ٢١١.

هو قول أهل السنة والجماعة، بخلاف شَبَابَة بن سَوَّار المرجئ الذي يكتفي بعمل اللسان على أنه تحقيق لعمل الجوارح.

فقد اتفق القولان في أن حركة اللسان هي عمل اللسان، وافترق القولان في إدخال عمل الجوارح أو إخراجه؛ فابن عثيمين يدخله في الإيمان، وشَبَابَة يخرجه ويكتفي بحركة اللسان.

ولم يقف الباحث على من قال بأن عمل اللسان هي حركته قبل ابن عثيمين سوى شَبَابَة -مع ما بين القولين من الافتراق المذكور-. وكذلك لم يقف على من فرّق بين قول اللسان وعمله قبل شراح الواسطية الذين سبق ذكرهم من أصحاب المسلك الثاني.

وهذا اجتهاد منهم، يرى الباحث أنهم لم يُحَالفوا فيه الصواب، وقد حذّر العلماء قديما وحديثا من ذكر قول في الدين لم يسبقك إليه أحد من أهل العلم، ويتأكد هذا في مسألةٍ هي أصل الأصول في الدين، فقد جاء عن الإمام أحمد في سياق إنكاره على المرجئة أن يقول الرجل: (أنا مؤمن)، أنه قال: «لا نقول شيئا لم يقله أحد من أهل العلم قبلنا»[1].

وعلى وفق ذلك: فإنا لا نفرق بين قول اللسان وعمله، وكذلك لا نقول إن (قول اللسان: النطق، وعمل اللسان: حركاته)، لأنه لم يقله أحد من أهل العلم قبلنا، وقد قال ابن تيمية: «وكل قول ينفرد به المتأخر عن المتقدمين ولم يسبقه إليه أحد منهم فإنه يكون خطأ؛ كما قال الإمام أحمد بن حنبل: (إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام)»[2].

ومن خلال العرض السابق والمناقشة لمسالك العلماء؛ يظهر للباحث أن الصواب أن يقال: إن ما يتلفظ به اللسان، يسمى بـ (قول اللسان)، وهو يشمل: النطق بالشهادتين، والذكر والدعاء، والتلاوة ونحوها، وهذا هو الأصل، وقد يطلق عليه أحيانا: عمل اللسان، وفعل اللسان، على سبيل التجوز لا الغلبة، مع الحذر من تلبيسات المرجئة وتلاعبهم بالألفاظ. وهكذا فعل أهل السنة -ومنهم ابن تيمية صاحب العبارة المشكلة- الذين

---

(١) السنة، الخلال، ج: ١، ص: ٥٦٦، رقم: ٩٦٥.

(٢) مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، ج: ٢١، ص: ٢٩١؛ أحمد ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨/١٩٨٧)، ط: ١، ج: ١، ص: ٣٦٠.

استخدموا هذا المصطلح، فإنهم يسمون قول اللسان: عملا، وفعلا، ولا يفرقون بين ذلك، فقول اللسان وفعله وعمله شيء واحد، فهي إطلاقات متنوعة لمسمى واحد.

قال ابن حجر: «والتحقيق: أن القول لا يدخل في العمل حقيقة، ويدخل مجازا، وكذا الفعل؛ لقوله -تعالى-: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ بعد قوله: ﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ ﴾»[1].

كما يظهر للباحث -أيضا- أن الخلاف بين القائلين بعدم التفريق بين قول اللسان وعمله، والقائلين بالتفريق بينهما يبقى خلافا لفظيا[2] طالما أن الجميع يدخلون عمل الجوارح في مسمى الإيمان؛ لأن القائل بعدم التفريق جعل مصطلح (قول اللسان) يشمل سائر الطاعات القولية، ومن قال بالتفريق؛ فقد جعل (قول اللسان) هو النطق بالشهادتين، (وعمل اللسان) يتضمن سائر الطاعات القولية عدا الشهادتين فهما من قول اللسان، مع التزام الجميع بإدخال عمل الجوارح في مسمى الإيمان.

مع التنبيه إلى أن القول بأن عمل اللسان هو حركته هو الأبعد منهما عن الصواب، لما في قوله من مشابهة قول المرجئ شَبَابَة بن سَوَّار من وجه.

وأما بالنسبة لعبارة ابن تيمية المشكلة التي عطف فيها عمل اللسان على قول اللسان؛ فيُمكن القول بأن هذا من باب التكرار والتأكيد فقط، وأنه لم يقصد حقيقة التفريق بين قول اللسان وعمله، والله أعلم.

الخاتمة:

في ختام البحث يمكن إجمال أبرز النتائج والتوصيات فيما يلي:

١ - أهل السنة يطلقون على ما ينطق به اللسان، أنه: قول اللسان، وعمله، وفعله، ومن هؤلاء: ابن تيمية. وهم بهذا لا يفرقون بين هذه التسميات.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ج: ١، ص: ٣٨. ذكر ذلك تعليقا على كلام ابن دقيق العيد. انظر: ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام في شرح أحاديث سيد الأنام، تحقيق: عبد المجيد خليل العمري، وآخرين، (الكويت: أسفار لنشر نفيس الكتب والرسائل العلمية، ١٤٤٠/٢٠١٩)، ط: ٢، ج: ١، ص: ١٧٨-١٧٩.

(٢) انظر: عبد العزيز العبد اللطيف، نواقض الإيمان القولية والعملية، (الرياض: مدار الوطن للنشر، ١٤١٥)، ط: ٢، ص: ٢٣.

٢ - إن الموضع المشكل من العقيدة الواسطية، قد تكرر عن ابن تيمية، وهو ثابت بخطه نفسه، فلا وجه لاعتباره خطأ أو سبق قلم.

٣ - من حاول حمل كلام ابن تيمية على أنه يفرق بين قول اللسان وعمله في تعريف الإيمان، فهو غير مسبوق بهذا التفريق، ولا دليل على رأيه.

٤ - القول بأن عمل اللسان: حركته، قول مخالف للصواب غير مسبوق بأحد من أهل السنة، بل مسبوق بالمرجئ: شَبَابَة بن سَوَّار، الذي حذر منه الإمام أحمد ومن قوله الخبيث.

٥ - مشابهة قول ابن عثيمين لقول شَبَابَة بن سَوَّار من وجه، لا يعني اتفاقهما في كل الوجوه ولا في المذهب، فابن عثيمين على مذهب أهل السنة والجماعة بخلاف المرجئ شَبَابَة، وابن عثيمين لا يكتفي بحركة اللسان، بل يدخل أعمال الجوارح في الإيمان.

٦ - الخلاف لفظي بين المفرقين بين قول اللسان وعمله، وبين القائلين بعدم التفريق، طالما أن الجميع يدخلون عمل الجوارح في مسمى الإيمان.

ويوصي الباحث فيما يتعلق بشرح العبارة المشكلة عند ابن تيمية بأن يُعتمد عدم التفريق بين قول اللسان وعمله، وألا يقال بأن عمل اللسان هو حركته، مع التأكيد على ركنية جنس عمل الجوارح.

المراجع

أبو عبيد، القاسم بن سلام. (١٤٢١هـ). *الإيمان معالمه وسننه واستكمال درجاته*. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

الآجري، محمد بن الحسين. (١٤٣٢هـ). *كتاب الشريعة* (ط.٣). مدار الوطن للنشر.

الأحمدي، عبد الله بن سلمان. (١٤١٢هـ). *المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة*. دار طيبة.

الأصبهاني، إسماعيل بن محمد. (١٤٤٢هـ). *شرح صحيح البخاري*. أسفار لنشر نفيس الكتب والرسائل العلمية.

آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز. (١٤٣٠هـ). *اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية*. دار العاصمة للنشر والتوزيع.

آل الشيخ، محمد بن إبراهيم. (١٣٩٩هـ). *فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ*. مطبعة الحكومة.

آل عبد المحسن، إبراهيم بن عبيد. (د.ت). *الأعلام المرفوعة والتحف المدفوعة وعقيدة أمة الإسلام المقروءة المسموعة*. (د.ن).

آل مبارك، فيصل بن عبد العزيز. (١٤٢٧هـ). *التعليقات السنية على العقيدة الواسطية*. دار الصميعي للنشر والتوزيع.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٢٩هـ). *الجامع الصحيح* (ط.٢). دار المنهاج، ودار طوق النجاة.

البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن. (١٤٢٧هـ). *زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه* (ط.٢). دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع.

البراك، عبد الرحمن بن ناصر. (١٤٣١هـ). *توضيح مقاصد العقيدة الواسطية* (ط.٢). دار التدمرية.

ابن بطة، عبيد الله بن محمد. (١٤٣٥هـ). *الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين، المعروف بـ (الإبانة الصغرى)* (ط.٣). مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (١٤٠٨هـ). *الفتاوى الكبرى*. دار الكتب العلمية.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (١٤١٧هـ). *الصارم المسلول على شاتم الرسول*. رمادي للنشر، المؤمن للتوزيع.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (١٤٢٦هـ). مجموعة *الفتاوى*. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (١٤٢٩هـ). *الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنّفه في آداب الطريق*. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (١٤٣٢هـ). جامع *المسائل المجموعة الثامنة*. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (١٤٣٥هـ). *العقيدة الواسطية*. مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (١٤٤٠هـ). *العقيدة الواسطية*. مؤسسة الدرر السنية للنشر.

الجرجاني، علي بن محمد. (د.ت). *كتاب التعريفات*. دار الريان للتراث.

الجطيلي، عبد الرحمن بن حمد. (١٤٣٦هـ). مجموعة *الشيخ عبد الرحمن الجطيلي العلمية*. دار العقيدة للنشر والتوزيع.

ابن حجر، أحمد بن علي. (١٤١٤هـ). تهذيب *التهذيب*. دار الكتاب الإسلامي.

ابن حجر، أحمد بن علي. (١٤٢٧هـ). *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*. دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن حنبل، عبد الله بن أحمد. (١٤٣١هـ). *كتاب السنة*. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

الحكمي، حافظ بن أحمد. (١٤٢٤هـ). *معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول* (ط.٢). دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

الخلال، أحمد بن محمد. (١٤١٥هـ). *السنة* (ط.٢). دار الراية للنشر والتوزيع.

ابن دقيق العيد، محمد بن علي. (١٤٤٠/هـ). *إحكام الأحكام في شرح أحاديث سيد الأنام* (ط.٢). أسفار لنشر نفيس الكتب والرسائل العلمية.

الذهبي، محمد بن أحمد. (١٤٢٩هـ). *سير أعلام النبلاء* (ط.٢). مؤسسة الرسالة ناشرون.

الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله. (١٤٣٤هـ). *شرح العقيدة الواسطية*. دار التوحيد للنشر.

ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد. (١٤٢٤هـ). *جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم* (ط.٢). دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد. (١٤٣٠هـ). *فتح الباري في شرح صحيح البخاري*. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

الرشيد، عبد العزيز بن ناصر. (١٤٢٦هـ). *التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية* (ط.٥). دار الرشيد.

الروق، محمد بن علي. (١٤٢٠هـ). *الأسئلة النجدية على العقيدة الواسطية*. دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (١٤٣١هـ). *التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة*. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

السفياني، محمد بن بسيس. (١٤٣٥هـ). *قواعد الأسماء والأحكام عند شيخ الإسلام ابن تيمية*. مركز التأصيل للدراسات والبحوث.

السلمان، عبد العزيز المحمد. (١٣٩٩هـ). *الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية*. (د.ن).

السلمان، عبد العزيز المحمد. (١٤٠٢هـ). *الكواشف الجلية عن معاني الواسطية*. (د.ن).

السلمان، عبد العزيز المحمد. (١٤١٨هـ). *مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية* (ط.١٢). (د.ن).

الشنقيطي، محمد الأمين. (١٤٢٦هـ). *العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير* (ط.٢). دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. (١٤١٧هـ). *الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء*. دار البشائر الإسلامية.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. (١٤٣٩هـ). *التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله ﷺ*. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

العبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد. (١٤١٥هـ). *نواقض الإيمان القولية والعملية* (ط.٢). مدار الوطن للنشر.

ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد. (١٤٣٢هـ). *العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية*. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

العثيمين، محمد بن صالح. (١٤١٣هـ). *مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين* (ط. الأخيرة). دار الوطن.

العثيمين، محمد بن صالح. (١٤٢١هـ). *شرح العقيدة الواسطية*. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

العثيمين، محمد بن صالح. (١٤٢٨هـ). *شرح العقيدة الواسطية*. مؤسسة الرسالة ناشرون.

الغرابي، علي مصطفى. (١٤٣٤هـ). *المنحة الإلهية في شرح العقيدة الواسطية*. دار الحجاز للنشر والتوزيع.

الفوزان، صالح بن فوزان. (١٤٢٤هـ). *شرح العقيدة الواسطية* (ط.٣). جمعية إحياء التراث الإسلامي.

الفياض، زيد بن عبد العزيز. (١٤٣٧هـ). *الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية* (ط.٥). دار الألوكة للنشر.

ابن قاسم، محمد بن عبد الرحمن. (١٤٢٨هـ). *شرح العقيدة الواسطية من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم* (ط.٢). (د.ن).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (١٤٣١هـ). *كتاب الصلاة*. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (١٤٤٠هـ). *عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين* (ط.٤). دار ابن حزم، ودار عطاءات العلم.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (١٤٤١هـ). *مدارج السالكين في منازل السائرين* (ط.٢). دار ابن حزم، ودار عطاءات العلم.

الكرماني، حرب بن إسماعيل. (١٤٣٥هـ). *معتقد أهل السنة والجماعة*. دار المنهاج للنشر والتوزيع.

اللالكائي، هبة الله بن الحسن. (١٤١٥هـ). *شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم* (ط.٣). دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن مانع، محمد بن عبد العزيز. (د.ت). *حاشية العلامة ابن مانع على العقيدة الواسطية*. (د.ن).

المزني، إسماعيل بن يحيى. (١٤٤٠هـ). *شرح السنة* (ط.٣). مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع.

المزي، يوسف بن عبد الرحمن. (١٤٠٣هـ). *تهذيب الكمال في أسماء الرجال* (ط.٢). مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن منده، محمد بن إسحاق. (١٤٠٦هـ). *كتاب الإيمان* (ط.٢). مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن هانئ، إسحاق بن إبراهيم. (١٤٠٠هـ). *مسائل الإمام أحمد بن حنبل*. المكتب الإسلامي.

هراس، محمد خليل. (١٤٢٩هـ). *شرح العقيدة الواسطية* (ط.٦). الدرر السنية.

JOURNAL OF SHARIA AND ISLAMIC STUDIES

A refereed Academic Quarterly, Published by the Academic Publication Council - University of Kuwait

Distinguishing between the Tongue's Utterance and Action in Ibn Taymiyya's Definition of Faith and Scholars' Approaches to Addressing It

Dr. Dhari Othman Alzahameel

Creed and Advocacy Department- Kuwait University

Academic Publication Council



جامعة الكويت

KUWAIT UNIVERSITY

ISSN: 1029-8908

Volume 38 - Issue No. 138

Rabi I 1446 A.H. - September 2024